

المصطلح العربي

في المعجم الموحد لمصطلحات الكيمياء

ذ. عبد الهادي الإدريسي (*)

للحد الأجنبي، مرادف أصيل في اللغة الناقلة يشترك والحد الأجنبي في احتمالهما المعنى نفسه، كتولنا "كتلة" في مقابل "masse" و"حجم" في مقابل "volume" ونعني بالانتظام أن تعتمد اللغة الناقلة إلى الحد الأجنبي فتنظمه داخل نسقتها انتظاما، مدخلة عليه أو غير مدخلة تغييرات صوتية و صرفية. وهي العملية التي ندعوها تعريبا، ويدعوها الفرنسيون مثلا francisation أو بشكل أدق latinisation.

يكاد لا يختلف اثنان في أن الذاكرة تكون أحسن ماتكون حين يمضدها الفهم ويسندها، أي أن المتعلم قد لا يجد صعوبة تذكر في استحضار ما يفهمه، على حين يكون الأمر مختلفا حين يطلب منه تذكر ما لا يفهم، فالمفهوم الجديد - وليكن حدا أو غيره - يكون أرسخ في الذهن، وأبقى أثرا كلما كانت الوشائج المنطقية أو الصوتية أو الصرفية التي تربطه بمفاهيم سبق تخزينها في الذاكرة، أمتن وأكبر عددا. ولا غرو، لأنه كان في المنظومة تقديرا قبل أن يحل بها فعلا. كما تبين ذلك الدراسات اللسانية الحديثة. أما حين تنتظم الذاكرة أبتز من الوشائج، صفرا من كل علاقة تربطه بالمفاهيم سابقة التخزين، فإنه يظل تائها على السطح كالزورق تنقطع مرساته فيجول على غير هدى بين الزوارق الراسية، فلا يبعد أن يجرفه التيار، ولا يبعد أن يمحي المفهوم إياه فكأنه ما كان.

أما حين تنضاف إلى ندرة أو غياب الوشائج صعوبة صرفية أو صوتية، كأن تكون الكلمة المطلوب تخزينها غريبة الوزن منكرته أو صعبة النطق يلتوي اللسان بها، فإن التخزين يصبح أصعب والنسيان أقرب.

إن مستقرى تاريخ البشرية يلاحظ بلا شك أنه ما نشأت حركة نهضة في قطر من الأقطار إلا وواكبتهما - أو سبقتها - حركة ترجمة نشيطة، تتساوى في ذلك الحضارات كلها، شرقية وغربية، قديمة وحديثة، ذات وازع ديني أو قومي أو اقتصادي.

وسبب ذلك أن الأمة الناهضة، لا بد لها من النهل من معين من سبقها من الأمم إلى تسلم مشعل الحضارة، وذلك حتى يتسنى لها الاستفادة من تجارب تلك الأمم ومساهماتها في إغناء سجل الحضارة الطويل. ولا يتأتى ذلك إلا بالإقبال على تعلم وتعليم ما خلفته تلك الأمم من إرث علمي وفكري. ولا يتسنى ذلك التعلم والتعليم إلا بنقل ذلك الموروث إلى لغة الحضارة الوارثة، وليس من سبيل إلى شيء من ذلك آمن وأقل كلفة - مادية وإنسانية - من الترجمة.

وطبيعي أن تولي الأمة الآخذة بأسباب الرقي اهتمامها لترجمة العلوم قبل غيرها من المعارف، وذلك لأسباب برغماتية لا تخفى. ومعلوم أن العلوم عامة - والتطبيقية منها خاصة - تكون حبلى في العادة بكم يزيد أو ينقص من المصطلحات ولعل القائمين على ترجمة العلوم في كل مصر وعصر، لو سئلوا عن العقبة الكأداء التي تعترض عملهم وتلتهم مجهودهم ووقتهم التهاما، لأجابوا دون تردد: المصطلح.

وهم يلجأون في العادة، عند معالجتهم مشكلا مصطلحيا، إلى وسائل عددها المنظرون في سبغ، وربما زاد بعضهم أو نقص قليلا. لكن أبرز تلك الوسائل اثنتان هما الترجمة والانتظام. ونعني بالترجمة إيجاد مقابل - مرادف -

فالمعجم الموحد لمصطلحات الكيمياء يغفل - على سبيل المثال- كلمة "مجهر" لكنه يورد "مجهرى" في سياق خاص، فيضع "مجهرية" في مقابل "microscopique" لكنه يضيف "مكروثية" والأمثلة على ذلك كثيرة. كما أنه قد يورد مرادفين عربيين للكلمة الأجنبية الواحدة، ولا يفوتنا أن ذلك قد يكون ضروريا في بعض الحالات. فكلمة "formation" الفرنسية قد تعني - حسب السياقات- "تكون" أو "تكوين" فيكون من التقصير عندها أن لا يُستفاد من إمكانية تتيحها اللغة العربية، لكن على ألا يجاوز ذلك إلى غيره فلا داعي مثلا لأن نضع "قَسَى" و"صَلَدَ" معا في مقابل "durcir" ونغفل في الوقت ذاته سرد المعنى الأول لكلمة "durcir" وهو "صَلَبَ" و"تَصَلَّبَ" (devenir dur) والأمثلة على ذلك كثيرة أيضا.

غير أن هذه وغيرها من الملاحظات - كتبويب المعجم مثلا - تشكل موضوعا قد يكون له حديث. وعودة إلى موضوعنا، موضوع المصطلح العربى.

قلنا إن الاهتمام ينبغى أن ينصب على ترجمة المصطلح الأجنبي قبل اللجوء إلى حل آخر وهو ترميمه، أي انتظامه في النسق العربى وبالإضافة إلى الاشتقاقين -الصرفى والمعجمي- اللذين تعتبر الكلمة المولدة تقاطعا لهما، فإن اللغة العربية تتيح إمكانات توليدية أخرى ليس أقلها الاستعارة والمجاز بأنواعه. بل حتى النحت أبانت فيه العربية إبان عصرها الذهبى عن مرونة تزيد من دهشة المتأمل فيها من إحجام واضعى المصطلح اليوم عن استعماله، خصوصا عند ترجمة حدود مركبة أو منحوتة بدورها، وقد تبدو مثلا كلمة "الحرنا" المكونة من الأحرف الأولى التي للكلمات المركبة لترجمة A.D.N غريبة لأول وهلة، لكنها ما كانت لتبدو بهاته الغرابة لو ورثناها عن السلف، هذا إلى أن النحت في العربية يقع في الفعل نحو بسمل وحوقل، وفي الوصف كالصلدم للشديد الحافر من الخيل (نحت من "صدم" و"صلد")، وفي الاسم كجلمود (من جمد وجلد) ونسبة كتولك هو حضرمي أي من حضرموت أو طبرخزي أي

والواقع أن المتأمل في المصطلح العربى يجده يجمع في الكثير من الأحوال، بين العييين أعلاه، ويشكو في أغلبها من أحدهما على الأقل. فجل المصطلحات العربى تنقل شحنات دلالية جديدة، قلما يجمعها أكثر من رابط - دلالي بدوره- بما سبقها من مفاهيم، وهي كثيرا ما تكون صعبة النطق لا تطاوع صرفا ولا صواتة عربيين.

فإن اتفقنا على كل ما سبق، وأضفنا إليه البديهية القائلة بأن للذاكرة دوراً رئيسيا في عملية التعلم، وضحت ضرورة الاهتمام بترجمة المصطلح الأجنبي عوض ترميمه، تسهلا لتدريس العلوم في مدارسنا، وسعيا نحو تحقيق الهدف الذي يجب على كل مرب في بلادنا أن يضعه نصب عينيه، ونعني ترميم تدريس العلوم في جميع أسلاك التعليم في أرجاء الوطن العربى. بل إن الضرورة لتدعو حتى إلى إعادة النظر في بعض المصطلحات المترجمة التي يبدو أن واضعيها قد جعلوا من الدال الأجنبي منارا يهتدون به في علمهم، وكأنه السبيل الوحيد والأوحد لمقاربة حقوقهم العلمية والتعبير عنها، على حين يثبت القليل من التمحيص الإثالي عكس ذلك تماما. وكان حريا بهم أن ينتهجوا في وضعهم المصطلح نهجا مدلوليا (onomasiologique) فلا يلجأون إلى النهج الدالي (sémasiologique) إلا إذا انسدت السبل بسابقه، ذلك أن وضع المصطلح عمل يدخل في نطاق اجتهاد واضع القاموس (le lexicologue)، لا في مجال عمل المعجمي (le lexicographe).

وبعيدا عن كل مالتبس لغوية، فإننا نعتقد أن لا ضرورة تدعو، من جهة أخرى، إلى وضع أكثر من مقابل للحد الواحد. كما أنه تجب الإفادة من إمكانات التوليد التي تزخر بها اللغة العربية، وهو ما من شأنه أن يعنى المتعلم من بلبلة لا طائل وراءها. وأن يغني في الوقت ذاته لفته، ويشحذ فيه ملكات - كاشتقاق الصرفى والمعجمي- تمد من صميم خاصيات اللسان العربى.

الفارسية فقبلها ابريزا. وأخذ الكيمياءيون العرب nitron عن الإغريقية فنطقوها نظرونا و alkhimia فصارت لديهم كيمياء قبل أن يعاود الغرب الناهض أخذها عنهم لتصبح alchimie ثم chimie وأخذ الغرب عنا الكحول فأصبح Alcool والحبل فصار cable، إلى غير ذلك من الأمثلة التي تكاد لا تحصر لها عدداً. حتى أسماء الاعلام أخضعت للضوابط الصرفية والصواتية ذاتها، فأصبح César أيام العرب القدامى قيصر، وصار hieraclès على عهد النبي (ص) هرقل، و khasroès كسرى، وأنكرت أذن معاصري هرون الرشيد اسم القيصر Nicéphore فقلبوها نقفور، وجاء في الخطبة المنسوبة إلى طارق بن زياد أنه "حامل على طاغية القوم لذريق (rodrigue) فقاتله". وأصبحت جزيرة sicilia صقلية ثم جاء les Mongols فدعاهم العرب بالمغول وثقلت "ابن رشد" على اللسان الافرنجي فصارت Averroès وابن سينا فأصبحت Avicene وغيرها كثير. لم نسمع يوماً عن مقترض فرض على اللغة التي ينقل إليها حروفاً لا ينطقها أبناؤها، ولا جعل الدارس بها يقف حائراً بين اختيارين أحلاهما مر. كما يقع الآن لدارس العلوم لدينا حين لا تجد لغته ما تقدمه له في مقابل السابقة "poly" مثلما سوى تعريب مباشر يفرض عليه نطق حرف "P" الذي لا يدخل في نسق لغته الصوتية لأنه إن نطق الباء بآء عربية دخل في فصل لعله أقرب إلى تخصص الكلي والمسالك منه إلى معنى التعدد المقصود من "poly".

لا عيب إذا في الاقتراض إن لم يجد المترجم عنه بديلاً، لكن شريطة عدم تخطي الحاجزين الرئيسيين اللذين تحيط بهما كل لغة نفسها اتقاء الضياع. ونعني بهما الحاجز الصرفي - النحوي (le rempart morphosyntaxique) وقرينه الأهم منه في اعتقادنا : الحاجز الصوتي (le rempart phonologique).

وقبل أن نختم هاته الكلمة الموجزة نسرد بعض الأمثلة الواردة في المعجم الموحد، مبدئين بعض ما نخاله ملاحظات

من طبرستان و خوارزم، وعبدري من عبد الدار ومرقسي من امري، القيس. ونقول طَلَبَقُ أي قال: "أطال الله بقاءك" وبأباً أي قال: "بأبي أنت وأمي"، ونوه أي "قال إن وإن وإن..."، ونحت المحدثون برمائي وحويمن، فلماذا نحجم نحن اليوم عن الإفادة من حلول تضعها اللغة بين أيدينا، فلا تستعمل مثلاً "حديكي" مقابل ل "ferrique": تمييزاً له عن حديدي ferreux و"ثحكي" في مقابل cuivrique تمييزاً له عن نحاسي (cuivreux)؟.

فإذا ما انسدت السبل، وقصرت اللغة عن التعبير، لجأنا إلى إثالة المصطلح المراد نقله نستقرئها، فقد تتمخض عما يعين على تصور مقابل مناسب وسنرى مثلاً لذلك حين الحديث عن المعادن والأحماض.

فإذا لم تغد الإثالة بشيء، أمكن اللجوء إلى التعريب، لكن شريطة إخضاع المنتظم الجديد للنسق الصرفي والصواتي العربي، حتى تتسنى النسبة إليه والاشتقاق منه وتصغيره والنعته به. فكلمة "أكسجنة (oxygénation)" حتى ولو قبلنا بها على علاتها، لا تعطي مجالاً للنسبة ولا للاشتقاق الصرفي. وكلمة oxygénateur على علاتها، لا تجد مقابلاً لها إلا "جهاز تهوية"، وذلك لأن وزن "مُفْعِلٌ" الذي كان حرياً بأن يكون ذاك المقابل هو مستعمل لغير ذلك إذ يقصد ب"مؤكسد" "تقيض" مختزل، ولا يخفى الخلط الذي يخشى من ذلك. هذا إلى أن تعبير "جهاز تهوية" لو أخضع للترجمة المرجعية (la t.rétrospective) لأعطانا "aérateur"، أو "ventilateur"، لا "oxygénateur"، وفي هذا وحده ما يكفي للكشف عن الخلط الناتج عن هذا الاختيار.

والحق أن عملية الاقتراض أو الانتظام هي عملية صاحبت الترجمة منذ بداياتها، إلا أن المترجمين - مترجمونا في الماضي ومترجمو الغرب اليوم - محرضوا دوماً على إخضاع ما يقترضونه من حدود لنسقية اللغة الناقلة. فقد أخذ القرآن الكريم عن اللاتينية stratum فقبلها سراطاً وأخذ الإبريز عن

الإبقاء طبيعياً - ولأسباب أدبية واضحة - على الحدود المعرفة بأسماء أعلام مثل المادن: francium- américanium- .
?einsteinium

لماذا نستعمل الحرف اللاتيني "U" الذي لا يدخل بالمناسبة في النسق الصوتي العربي - في تعابير من نحو "aimant en U" أو "circuit en U" حيث نقول: مغناطيس على شكل U أو دارة على شكل U، ولا نستعمل كلمة الحذوة - حذوة الفرس - التي تؤدي المعنى نفسه وبطريقة أبلغ؟
لماذا لا نستعمل نوشار (ammoniac) التي عربيها الأسلاف، لا سيما وأنها تتيج بإمكانية كتابتها بوأو أو من دون واو - التمييز الخطي (graphique) بين (ammoniac = NH3) و (ammoniaque = NH4+) ؟

لماذا لا نفيد من الأوزان حاملة الدلالة من بين الأوزان العربية. كوزن "فعل" (للمطاوعة) كـ "سحب" عوض "قابل للسحب" في مقابل ducile، و"تفاعلية" (للقابلية) كـ "تأثيرية" في مقابل susceptibilité عوض "قابلية التأثير"؟

لماذا لا نفيد من النحت في حل المشكل كذلك الذي تضمه التعابير المركبة (les paraphrases) في تمردها على النسبة والتصغير والوصف، فنضع مثلاً "قَدْرٌ" في مقابل "court-circuiter" عوض "قَصْرٌ" التي لا تفي بالمطلوب (قدر : قَصْرُ الدارة)؟ لماذا وضع السلف "صقلية" مقابل لـ Sicilia : لا عن عجز عن نطقها، ولكن فقط لكون نطقها كما هي "صقلية" ينطوي على ما يشبه الإيحاء بميب في النطق كان العرب يستقبحونه حيث كان ملازماً للمبيد والوالي، ونعني به العجز عن نطق القاف، فقلبوا الكاف قافاً وزادوا شدة فوق اللام لتصبح الكلمة "صقلية" كلمة عربية أصيلة. نقول لماذا لا نحذو حذوهم حيال هذه الكلمة مثل silice فنقلبها "صَلَقٌ" مثلاً، خصوصاً وأن الصَلَقُ يحتمل من بين ما يحتمل من المعاني معنى الضرب بشدة ومعنى تصريف الأسنان، وفي هذا ما يطابق الاستعمالات الأولى لهذا الحجر؟

وتصويبات نوردها عن غير ترتيب، لكن دون أن يفوتنا التنويه بالجهد المشكور الذي بذله واضعو المعجم، والمعناء الذي تحمله في ذلك فجزاهم الله عنا جميعاً - معلمين ومتعلمين - خير الجزاء وأجزله.

ونبدأ أمثلتنا بالأحماض (les acides)

فالمعجم الموحد يضع "أميني" في مقابل "aminé" وهيدروكلوريك في مقابل chlorohydrique (ونلاحظ هنا أن التمریب هو تمریب لـ hydrochloric الإنجليزية لا لـ chlorohydrique الفرنسية، وهذا موضوع آخر...) ويضع المعجم في مقابل "nitrique" "نتريك" وفي مقابل "phosphorique" "فوسفوريك". بيد أن عودة إلى الإثالة (étymologie) وحدها كافية لتبيان أن أصل كلمة "أميني" هو الإله المصري أمون، وأن "كلور" أصله khloros الإغريقية بمعنى "أخضر"، وأن كلمة النطرون توجد من أمد بعيد في القواميس العربية، ويدعوها أصحاب المعاجم باسم عربي هو "البورق"، وأن الفوسفور أصلها كلمة اغريقية تعني "الوهج" فلم لا يبحث واضعو المصطلح العرب في هذا الاتجاه، خصوصاً وأن لهم سابقة في ذلك تتمثل في الحمض السنملي (acide formique) وحمض الزبدة (acide butyrique) كما أن لهم سابقة معائلة في اليخضور (chlorophille) ؟

وننتقل إلى المادن فنجد الظاهرة نفسها، حيث عوض الاهتمام بملء الخانات الاشتقاقية الدلالية والصرفية، نرى واضح المصطلح يسارع إلى الاقتراض دون أن يتساءل هل الحد الأجنبي الذي يقترضه يعبر عن الحقيقة العلمية تعبيراً دقيقاً يبرر ذلك الاقتراض. فالكروم مثلاً أصلها "khrômos" اليونانية بمعنى "لون"، واليود مشتقة من (iodès) بمعنى "بنفسجي". أما البروم فأصلها "brômos" وتعني بكل بساطة "العطانة" أي الرائحة غير المستحبة.

فما المانع من أن نبني بدورنا على النسق المنطقي نفسه حدوداً أو كلمات عربية لتعريف أو نحت المسميات إياها، مع

(collectif) ولهذا يجوز استعمالها للمفرد المطلق، ولذلك فكل من نواء ونواة يحتملان المعنى نفسه، إلا أن استعمالهما كلا لغاية يضع حدا للبس الممكن عند استعمال كلمة واحدة لغايتين دلالتين اثنتين. أما "سيتوبلازم" ف "cytos" تعني "خلية" أو "غرفة"، و "plasma" تعني "الشيء المصنوع" (chose façonnée) أي أن "سيتوبلازم" تعني "إثاليها" الشيء المصنع الذي للخلية". فتعبير "الرواء" هو أقرب إلى وصف الحقيقة العلمية، خصوصا وأنه يتيح عبر إواليات التدايعيات الدلالية بفكرة الارتواء (turgescence) والانخواء (plasmolyse) التي هي أحوال تطرأ على الخلية. وأما "لحاء" فهو بدوره أقرب إلى التعبير عن الحقيقة العلمية من "غشاء" ومن "membrane"، ذلك أن غشاء الخلية يؤدي - كما هو معلوم - عمل اللحاء لدى الشجرة، من وقاية وصلة وصل بين داخل الخلية وبين الفضاء المحيط.

ولأهل الاهتمام بالجغرافيا نقول إن كلمة "تكتونية" لا تعدو إثاليها أن تعني "ما هو من صنع أو من اختصاص النجار". فهلا بحثوا لها عن مقابل ممكن في لغتنا عوض الكلمة الحالية التي يذكر المرء كم بدت له غريبة بل ومضحكة يوم سمعها لأول مرة وهو بعد تلميذ في الثانوي؟

ولأهل الاقتصاد نقول: أليس في "التخصيص" (مقابلا وتقيضا للتعميم) ما يعني عن الخصوصة والخصخصة وغيرها من الكلمات المنكرة؟

لماذا لا نسهل على متعلمينا الربط المنطقي والصرفي بين الالكترتون والكهرباء، كما تربطهما اللغات الأخرى ببعضهما، فنقول "كهيرب" في مقابل électron خصوصا وأن اللاحقة "on" هي للتصغير مثل :

mouche → moucheron = petite mouche,

nappe → napperon = petite nappe

ونفتح في الوقت ذاته لأنفسنا باب الاشتقاق فنقول

كهيربيبات في مقابل électronique وهلم جرا؟

لماذا نضع "غير متوقع" مقابل imprévisible علما أن الترجمة المراجعة تعطينا، حين نخضع لها "غير متوقع": imprévu ونضيق في الوقت ذاته على أنفسنا فرصة الإفادة من فكرة الفجاءة التي تعبر أحسن عن المفهوم imprévisibilité وكذا من "إذا" الفجائية، فنقول مثلا : "ظاهرة إذائية أو فجائية" تعريبا لتعبير "phénomène imprévisible"؟

وللمهتمين بدراسة الخلية (cytologie) نقول : ما المانع من استعمال "نواء" عوض "نواة" عند الخلية، ليصبح ما هو للخلية "نواشي" أو "نوشي" حتى نميزه عن نووي (nucléique/nucléaire) و"رواء" بالنسبة إلى حشو الخلية حتى نتفادى ما يتولد عن استعمال "سيتوبلازم" من مشاكل صوتية وصرفية، ثم "لحاء" بالنسبة إلى غشاها حتى نتفادى "السيتوبلازمي"، خصوصا وأن الاختيارات المذكورة كلها تجد تبريرا لغويا ومنطقيا. فالشاة تجمع على شياها وشاه وشاء، وقد تستعمل هذه الجموع كلها استعمال المفرد فنقول "نشق الشاء" بمعنى "ماتت الشياها" وذلك حين نعبر عن جمع معنوي